

طرف محبة العبد لربه وطرف محبة الرب لعبده

والكلام في هذه المنزلة معلق بطرفين : طرف محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده ، والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم ويحبونه على إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولا نسبة لساثر المحاب إليها ، وهي حقيقة " لا إله إلا الله " وكذلك عندهم محبة الرب لأولليائه وأنبيائه ورسله : صفة زائدة على رحمته ، وإحسانه وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها ، فإنه لما أحبههم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب.

مراتب المحبة:

أولها: " العلاقة " وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: " الإرادة " وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلب له.

الثالثة: " الصباية " وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء في الحدود .

الرابعة: " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه ، ومنه سمي عذاب النار " غراماً " للزومه لأهله ، وعدم مفارقتها لهم . قال تعالى: (**إن عذابها كان غراماً**) (الفرقان: 65)

قلت: (وهذه المرتبة لا تصح أن تصرف من العبد إلى الرب على ظاهرها ويجوز صرف معناها ، بل هي من مراتب المحبة العامة).

الخامسة: " الوداد " وهو صفو المحبة ، وخلصها ولؤها ، والودود من أسماء الرب تعالى ، وفيه قولان: **أحدهما:** أنه المودود ، قال البخاري في صحيحه **"الودود: الحبيب"**.

والثاني: أنه الواد لعباده ، أي المحب لهم ، وقرنه باسمه الغفور إعلماً بأنه يغفر الذنب ، ويحب التائب مه ، ويوده . فحظ التائب: نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول " الودود " في معنى يكون سر الاقتران ، أي اقتران الودود بالغفور استدعاء مودة العباد له ، ومحبتهم إياه باسم **" الغفور "**.

السادسة: " الشغف " يا قال : شغف بكذا ، فهو مشغوف به ، وقد شغفه المحبوب ، أي وصل حبه إلى شغاف قلبه ، كما قال النسوة عن امرأة العزيز: " قد شغفها حباً " يوسف:03 وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنه الحب المستولى على القلب ، بحث يحجبه عن غيره . قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه.

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب ، قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها ، أي داخله.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب، و **" الشغاف "** غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب ، يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب.

وقرأ بعض السلف: **" شعفها "** أي ذهب الحب بها كل مذهب وبلغ بها أعلى مراتبه ، ومنه : شعف الجبال ، لرؤسها.

السابعة: " العشق " وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه ، وعليه تأول إبراهيم ، ومحمد بن عبد الوهاب (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)البقرة:682 . **قالوا:** هو العشق.

ورفع إلى ابن عباس شاب وهو يعرفه قد صار كالخلال ، فقال: ما به؟ قالوا: العشق. فجعل ابن عباس عامة دعائه بعرفة : الاستعاذة من العشق.

وفي اشتقاقه قولان: أحدهما: أنه من العَشَقَة محركة وهي نبت أصفر يلتوي على الشجر ، فشبه به العاشق.

والثاني: أنه من الإفراط . وعلى القولين : فلا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا العبد في محبة ربه . وإن أطلقه سكران من المحبة قد أفناه الحب عن تمييزه ، كان في خفارة صدقه ومحبه.

الثامنة: " التيمم " وهو التعبد والتذل، يقال : تيمم الحب أي ذلله وعيده وتيمم الله: عبد الله ، وبينه وبين التيمم : الذي هو الانفراد تلاق في الاشتقاق الأوسط ، وتناسب في المعنى فإن **" التيمم "** المتفرد بحبه وشجوه . كانفراد التيمم بنفسه عن أبيه ، وكل منهما مكسور ذليل ، هذا

كسره يتم ، وهذا كسره تميم.

التاسعة: " التعبد " وهو فوق التميم ، فإن العبد هو الي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شئ من نفسه ألبته ، بل كله عبد لمحبيه ظاهراً وباطناً . وهذا هو حقيقة العبودية ، وهو الحب التام مع الذل التام والخضوع للمحبوب. تقول العرب طريق " معبد " أي قد ذللت الأقدام وسهلته.

العاشر: " الخلة " التي انفرد بها الخليلان ، إبراهيم ومحمد عليهما السلام ، كما صح عنه أنه قال: " إن الله اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً " . وقال: " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن " والحديثان في الصحيح ، وهما ييطان قول من قال " **الخلة** " لإبراهيم و " **المحبة** " لمحمد صلى الله عليه وسلم.

والخلة: هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه ، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب. وهذا هو السر الذي لأجله والله أعلم أمر الخليل بذبح ولده ، وثمره فؤاده وفلذة كبده ، لأنه لما سأل الولد فأعطيه ، تعلقت به شعبة من قلبه . و " الخلة " منصب لا يقبل الشركة والقسمة . فغار الخليل على خليله: أن يكون في قلبه موضع لغيره ، فأمر بذبح الولد ، ليخرج المزاحم من قلبه ، فلما وطن نفسه على ذلك ، وعزم عليه عزماً جازماً: حصل مقصود الأمر ، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة ، فحال بيه وبينه ، وفداه بالذبح العظيم . وقيل له: (يا إبراهيم قد صدقت الريا) (الصافات: 401-501 ، أي عملت عمل المصدق) **إنا كذلك نجزي المحسنين** (الصافات : 105 ، نجزي من بادر إلى طاعتنا ، فنقر عينه كما أقرنا عينك بامتثال أوامرنا ، وإبقاء الولد وسلامته) **(إن هذا لهو البلاء الممين)** (الصافات: 106 . وهو اختبار المحبوب لمحبه ، وامتحانه إياه ليؤثر مرضاته ، فيتم عليه نعمه ، فهو بلاء محنة ومنحة عليه معاً. وهذا الدعوة إنما دعا إليها بها خواص خلقه ، وأهل الألباب والبصائر منهم ، فما كان أحد يجيب داعيها ، ولا كل عين قريرة بها ، وأهلها هم الذين حصلوا في وسط قبضة اليمين يوم القبضتين ، وسائر أهل اليمين في أطرافها.

المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس:

قال صاحب المنازل: المحبة : تعلق القلب بين الهمة والأنس .

يعني: تعلق القلب بالمحبوب تعلقاً مقترناً بهمة المحب ، وأنه بالمحبوب ، في حالتي بذله ومنعه ، وإفراذه بذلك التعلق . بحيث لا يكون لغيره فيه نصيب.

وإنما أشار إلى أنها بين " **الهمة والأنس** " لأن المحبة لما كانت هي نهاية شدة الطلب ، وكان المحب شديد الرغبة والطلب : كانت " **الهمة** " من مقومات حبه ، وجملة صفاته . ولما كان الطلب بالهمة قد يعرى عن الأنس ، وكان المحب لا يكون إلا مستأنساً بجمال محبوه ، وطمعه بالوصول إليه. فمن هذين يتولد الأنس : وجب أن يكون المحب موصوفاً بالأنس . فصارت المحبة قائمة بين الهمة والأنس.

ويريد " **بالبذل والمنع** " أحد أمرين: إما بذل الروح والنفس لمحبيه ، ومنعها عن غيره . فيكون البذل والمنع صفة المحب ، وإما بذل الحبيب ومنعه ، فتتعلق همة المحب به في حالتي بذله ومنعه.

ويريد بالإفراد معنيين : إما إفراد المحبوب وتوحيده بذلك التعلق . وإما فناؤه في محبته بحيث ينسى نفسه وصفاته في ذكر محاسن محبوه ، حتى لا يبقى إلا المحبوب وحده. والمقصود: إفراد المحب لمحبيه بالوحيد والمحبة .

والله أعلم

وللحديث بقية

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 15/04/2016

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfara.com